موت البلبل

ما أنسَ الفنَّ في حياتِه ! وأنسى الفنَّ في مماتِه !
قد واتَت الآسينَ الأماني والجاري الماءِ لم تُواتِه
والخالي الذهنِ مستريحٌ في الوكرِ في القصرِ في فلاتِه
والساهرُ الليلَ قد طواهُ وشوّهَ الموتُ ذكرياتِه

***

في هدأةِ الليلِ في دُجاهُ في معبدِ الكونِ في صلاتِه
يناسُ الصائدُ المنايا والحيُّ لاهٍ بمُلهياتِه
وبِئسَ الشرُّ إنْ تراءت هدّت على الطيرِ أمنياتِه
والبلبلُ الصادحُ المغنّي الساهرُ الليلَ في شكاتِه
حيرانُ ما يهتدي لغصنٍ حتى يُغنّي الى لِداتِه
قد أخرجَ الليلَ من رؤاهُ فراحَ يُصغي لمطرباتِه
والنسمةُ العذبةُ استراحت مأخوذةً مثل سامعاتِه
يمرُّ بالروضِ ما يُغنّي يهزُّ في الروضِ مُورِقاتِه
ما أجملَ الكونَ حين يُصغي لهاتفٍ صاغَ مُبدعاتِه !

***

وبينما البلبلُ المغنّي يعيدُ لحناً على هواتِه
دوّى بجوفِ الدجى دويٌّ فروّعَ الكونَ في صلاتِه
وهلّلَ الصائدُ انتصاراً وردّدَ الليلُ قهقهاتِه
وضاعَ في الأفقِ كلُّ لحنٍ وليس يلوي على شتاتِه
وفي أزيزِ الرصاصِ يلهى مُستملحُ الصوتِ أغنياتِه

***

وودّعَ الفجرُ جانبيهِ وأيقظَ الصبحَ من سُباتِه
فهبَّ يمشي على ضحايا وراحَ يُصغي لهاتفاتِه
والبلبلُ الخافتُ المسجّى الزهرُ يحنو على رُفاتِه

حسن كامل الصيرفي